# المحاضرة الثالثة: تابع التاريخ السياسي للجزائر في العهد الفينيقي و الروماني

## الأصل بالنسبة لسكان شمال أفريقيا

### تابع للنظريات النظريات المتمايزة حول أصل البربر:

- **الأصل اليمني:** ذهب الباحث في التاريخ المغربي "الوافي النوحي"، إلى أن أصل أمازيغ شمال إفريقيا من اليمن كما أكد أن "أصل الأمازيغ من اليمن وأنّ ثقافتهم برمّتها بما فيها حروف التيفيناغ، تعد فرعا من الثقافة المهرية اليمنية"[1].

تعد هذه النظرية من النظريات التي رفضها أمازيغ شمال إفريقيا عمومًا، والمغرب على وجه الخصوص، ويقول الوافي أنّه توصل إلى فكرته لما رأى من تشابه حروف المسند اليمني القديم والحروف الأمازيغية "تيفيناغ"، على جانب تطابق التراث المعماري والثقافي في اليمن والمغرب، على حد وصفه[2].

- **الأصل المحلّي أو الإفريقي:** هناك مجموعة من الباحثين والدارسين الأمازيغيين المحليين من يدافع عن الأصول الإفريقية للسكان الأمازيغ (إبراهيم أخياط، ومحمد شفيق مثلا)، ويعتبرونهم وحدهم السكان الأقدمين الذين استوطنوا شمال أفريقيا منذ زمن قديم. وأنه من العبث البحث في جذور الأمازيغيين، كما يتضح ذلك جليا في قولة محمد شفيق: " إن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن" البربر" من أصل يماني. أي: من العرب العاربة الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن البربر أوربيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعاءين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان.

ومع تراجع الاستعمار الأوروبي عن إفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لاسيما تجاه المصادر المكتوبة، مالم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانيات الأركيولوجية والأنتروبولوجية واللسنية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربة على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان أفريقية الشمالية الحاليين في جملتهم لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ماقبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـ 9.000 سنة، من جهة؛ وأن المد البشري في هذه المنطقة، كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة

---

[1] الأمين كرواز، مرجع سابق، ص 03.
[2] المرجع نفسه.

أخرى. وبناء على هذا، يمكن القول إن من العبث أن يبحث لـ " **بربر**" عن موطن أصلي، غير الموطن الذي نشأوا فيه منذ ما يقرب من مائة قرن. ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن يطبقه في التماس موطن أصلي للصينيين مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم، وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب[1].

وهكذا، يتبين لنا بأن أصول الأمازيغ أفريقية محلية، أصلهم من أفريقيا الشمالية، وموطنهم هو تامازغا، أو المغرب الكبير، أو شمال أفريقيا التي تمتد حتى السودان، ومالي، ونيجيريا، وبوركينافاصو، وبلاد الطوارق، وجزر كناريا...

❖ **الأصل المزدوج للأمازيغيين:**

هناك باحثون آخرون يقولون بالأصل المزدوج للبربر، فهم – حسب هذا الرأي– يجمعون بين السلالتين: السلالة السامية والسلالة الهندوأوربية،" فالسلالة الأولى هي الهندية الأوروبية التي نزحت إلى إفريقيا من آسيا ثم أوروبا على طريق صقلية وجبل طارق، وبالأسلوب الذي ذكرناه في قولة سابقة؛ والسلالة الثانية سامية أولى كما وصفنا، ثم التقت السلالتان بالمغرب، وهذا ما يفسر لنا اختلاف الخصائص البشرية عند البربر في السحنة، ولون الشعر والعيون، وشكل الجمجمة، وحتى اللهجات، وهذا ما يفسر أيضا الخلاف القائم بين مصمودة وصنهاجة مثلاً [2].

ويعني هذا الرأي أن سلالة البربر هندية أوروبية من جهة، وسامية من جهة أخرى. أي: أنَّ مجموعة من البربر جاءت من الهند وأوروبا، وجاءت مجموعة أخرى من اليمن والشام. ونجد لهذا التصور تجسيدا حقيقيا في منطقة الريف من الجهة الشمالية الشرقية من المغرب. فهناك أناس بشعر أشقر يشبهون الأوروبيين كثيرا. في حين، هناك أناس آخرون يميلون إلى السلالة السامية ببشرتهم السمراء تارة، أو ببشرتهم البيضاء تارة أخرى.

**المحصلة والنتيجة:**

يعد الأمازيغ والعرب – في اعتقادنا – من جذور سلالية وجينيولوجية واحدة، وهي الجذور الكنعانية السامية، ومن موطن واحد هو شبه الجزيرة العربية. وفي هذا السياق، يقول ليون الأفريقي في كتابه "**وصف أفريقيا**": لم يختلف مؤرخونا كثيرا في أصل الأفارقة، فيرى البعض أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا إلى أفريقيا حين طردهم الأشوريون، فأقاموا بها لجودتها وخصبها، ويزعم آخرون أن أصلهم راجع إلى السبئيين) **أي الحميريين** (الذين كانوا يعيشون في اليمن، قبل أن يطردهم الأشوريون أو الإثيوبيون منها، بينما يدعي فريق ثالث أن الأفارقة كانوا يسكنون بعض جهات آسيا، فحاربتهم شعوب معادية لهم، وألجأتهم إلى الفرار إلى بلاد الإغريق الخالية آنذاك من السكان، ثم تبعهم أعداؤهم إليها، فاضطروا إلى عبور بحر المورة واستقروا بإفريقيا، بينما استوطن أعداؤهم بلاد الإغريق. كل هذا خاص بالأفارقة البيض

---

[1] جميل حمداوي، مرجع سابق.
[2] المرجع نفسه.

القاطنين في بلاد البربر ونوميديا؛ أمَّا الأفارقة السود بمعنى الكلمة فإنهم جميعا من نسل كوش بن حام بن نوح. ومهما اختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود، فإنهم ينتمون تقريبا إلى الأصل نفسه، ذلك أن الأفارقة البيض، إما أتوا من فلسطين – والفلسطينيون ينتسبون إلى مصرائيم بن كوش–، وإما من بلاد سبأ، وسبأ بن هامة بن كوش[1].

يتضح لنا، مما سبق ذكره، بأن موطن البربر قد يكون فلسطين، أو شبه جزيرة العرب، أو اليمن، أو الشام، أو فارس، أو بعض بلدان آسيا، أو مصر، أو اليونان، أو أوروبا، أو أفريقيا، أو يكون موطنهم هو تامازغا، بل يمكن القول بأنهم هم الذين هاجروا إلى هذه المناطق في فترات مختلفة، فاختلطوا مع هذه السلالات العرقية...

وعلى العموم، يشترك الأمازيغ مع العرب في الأصل السامي الكنعاني، وفي موطن الانحدار والانطلاق الذي يتمثل في الجزيرة العربية. وهذا الرأي هو أقرب إلى الصواب. وبعد ذلك، تفرق سكان الجزيرة العربية شذر مذر لأسباب مناخية واجتماعية ودينية، وأيضا بسبب الحروب والنزاعات الفردية والجماعية، وبسبب الفتوحات والهجرات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ودليلنا المقنع، في ذلك، هو أن آدم وحواء قد نزلا، في بداية نزولهما فوق الأرض، في الشرق، ثم خلفا ذرية تكاثرت وتوسعت وتصارعت، فافترق الأبناء والأحفاد في مناطق شتى، بحثا عن مصدر عيشهم، وبحثا عن الأمن والاستقرار. فلا يعقل أن يكون الإنسان الأمازيغي قد وجد في شمال أفريقيا، قبل تواجد آدم وحواء؛ لأن ذلك سيتنافى مع أدلة النصوص الدينية ومعطياتها التاريخية والإخبارية.

ويمكن الاستعانة – كذلك – بالدليل اللغوي على الأصول الكنعانية المشرقية للبربر، ما دمت اللغة البربرية تنتمي إلى الفصيلة السامية– الحامية. ويعني هذا أن هذه الفصيلة اللغوية تؤشر على وحدة الموطن المشرقي للغة البربرية. وفي هذا النطاق، يقول عباس الجراري: " وإذا كانت الدراسات السلالية لم تقنع مثل هؤلاء الدارسين بالأصل الحقيقي للبربر، فإن البحث اللغوي كان أقدر على الاقتناع، حيث انتهى إلى أن اللغة البربرية تنتسب للمجموعة الحامية السامية.فهي، بما يتفرع عنها من لهجات منتشرة في أماكن متفرقة داخل البلاد التي استقر بها البربر منذ فترة ماقبل التاريخ؛ أي: من غرب مصر عند واحة سيوة شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن شواطئ المتوسط شمالا حتى جنوب نهر نيجيريا جنوبا".

علاوة على هذا، يمكن القول بأن أصول الأمازيغ عربية من جهة، وأوروبية من جهة ثانية، وأفريقية من جهة ثالثة. والدليل على ذلك أن ثمة ملامح يتصف بها الإنسان الأمازيغي تقربه من السلالة الأوروبية، كالشعر الأشقر، وبيض الوجوه، والعيون الزرقاء. وهناك ملامح أفريقية تتجلى في البشرة السوداء، والطابع الزنجي، والعادات الأفريقية المشتركة خاصة في مجال الغناء والموسيقا والفنون. وهناك ملامح عربية مشرقية على صعيد اللغة، والعادات والتقاليد والأعراف، والبنية الجسدية.

---

[1] جميل حمداوي، مرجع سابق.

وخلاصة القول، يمكن التأكيد بأن قضية أصول الإنسان الأمازيغي أو البربري مسألة سلالية وإثنوغرافية شائكة ومعقدة ومركبة، يصعب حلها بشكل علمي دقيق؛ نظرا لاختلاط الذاتي بالموضوعي، وتداخل الديني مع الأيديولوجي، ونقص في الوثائق والأدلة العلمية المقنعة والراجحة. وتبقى جميع هذه التصورات والنظريات مجرد احتمالات وافتراضات، ليس لها أي أساس علمي أو مستند موضوعي مقنع أو راجح.

ومن ثم، يمكن القول بأن ثمة مجموعة من التصورات المختلفة حول الأصل الأمازيغي، فهناك التصور السامي، والتصور الحامي، والتصور الهندوأوروبي، والتصور الأفريقي والمحلي. لكن يبقى التصور السامي أقرب إلى الحقيقة والصواب؛ لوجود أدلة مختلفة ومتنوعة، تميل إلى رجحان هذا الموقف بشكل من الأشكال.